إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 21و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

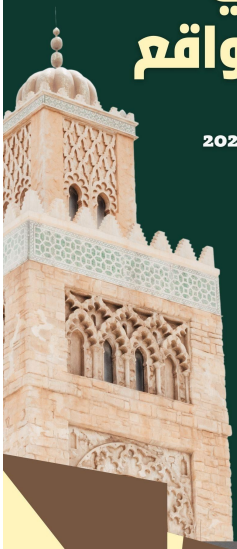

تنزيل مفسري الغرب الإسلامي النص القرآني على الفرق الكبرى المنتسبة للإسلام

د/ عبد القادر بن محمد شكيمة
قسم أصول الدين – معهد العلوم الإسلامية - جامعة الوادي
chekima-abdelkader@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سبحانه أنزل القرآن الكريم وأمر بتدبره والعمل به، ويتوقف ذلك على تفسيره وفهم معانيه، كما جعله هداية للناس صالحة أحكامه وتوجيهاته لكل زمان ومكان، فاجتهد كل مفسر أن يوصل تفسير القرآن الكريم إلى الناس معالجا أمراضهم ومرشدا لهم إلى الرقي ونيل المعالي عن طريق تنزيل النص القرآني على واقعهم، متأسين في ذلك بصحابة رسول الله ﷺ، وقد برع مفسرو الغرب الإسلامي في هذا الجانب وأولوه أهمية بالغة، ومن بين أنواع تنزيل النص القرآني على الواقع تنزيله على الفرق، لذلك وقع اختياري على هذا الموضوع وخصصت الفرق الكبرى المنتسبة للإسلام: القدرية والجبرية والجهمية والخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة، لأن باقي الفرق إما انقسمت عنها أو أنشئت على أنقاضها. قال القرطبي: "فقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية. وقال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة." وزدت فرقة المعتزلة – وإن لم يذكرها القرطبي – لشهرتها.

فكان عنوان المداخلة: **"تنزيل مفسري الغرب الإسلامي النص القرآني على الفرق الكبرى المنتسبة للإسلام."**

إشكالية الموضوع: فما هي الفرق الكبرى المنتسبة للإسلام؟ ومن هم المفسرون المغاربة الذين أنزلوا الآيات القرآنية على هذه الفرق؟ وكيف أعملوا هذا التنزيل؟

أهمية الموضوع وهدفه: هذا الموضوع يكتسي أهمية كبيرة كونه يتعلق بتفسير كتاب الله عز وجل، وتوظيف النص القرآني حسب العقائد والاتجاهات.

ويهدف إلى بيان توظيف المفسرين المغاربة النص القرآني على كل فرقة من الفرق حسب اعتقاداتهم واتجاهاتهم وكيفية ذلك.

منهج البحث في هذا الموضوع: يسلك الباحث في هذا الموضوع منهج الاستقراء وذلك بتتبع المواضع التي أنزل فيها المفسرون الآيات على الفرق الخمس وترتيبها، وفي كل مطلب من المطالب نكتفي بما يكفي أمثلة من مفسرين وأقوال، إذا كان المفسرون في المطلب كثيرين وأقوالهم كذلك.

خطة البحث في هذا الموضوع: يشتمل الموضوع على مقدمة، وخمسة مطالب ، وخاتمة كالآتي:

مقدمة: وفيها تعريف بالبحث وبيان إشكاليته وأهمّيّته وهدفه ومنهج البحث فيه وخطته.

وسبعة مطالب، كل مطلب يحوي ثلاثة فروع.

المطلب الأول: تنزيل النص القرآني على القدرية.

المطلب الثاني: تنزيل النص القرآني على الجبرية.

المطلب الثالث: تنزيل النص القرآني على الجهمية.

المطلب الرابع: تنزيل النص القرآني على الرافضة.

المطلب الخامس: تنزيل النص القرآني على الخوارج.

المطلب السادس: تنزيل النص القرآني على المعتزلة.

المطلب السابع: تنزيل النص القرآني على المرجئة.

وفي كل مطلب من هذه المطالب ثلاثة فروع: الفرع الأول: تعريف بالفرقة، والفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس، والفرع الثاني: تنزيل مفسري المغرب العربي.

خاتمة: وفيها إبراز لأهم نتائج البحث، وتوصيات مهمة.

المطلب الأول: تنزيل النص القرآني على القدرية

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بفرقة القدرية وانقساماتها:

أولا: التعريف بالقدرية:

نسبة إلى القدر، وهي فرقة كلامية ذات مفاهيم خاطئة في القدر، حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته وليس لله في فعله مشيئته ولا خلق، وأنكر غلاتهم علم الله السابق، أول من أظهر القول بالقدر معبد الجهني (ت:80هـ) مقتولا. تبرأ منهم الصحابة المتأخرون، وافترقوا فرقا كثيرة[1].

(1) ينظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دط)، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1416هـ-1995م، ص: (114...201).

ثانيا: انقساماتها:

قال القرطبي: "وانقسمت القدرية اثنتي عشرة فرقة: الأحمرية- وهي التي زعمت أن في شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم، ويحول بينهم وبين معاصيهم. والثنوية- وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من الشيطان. والمعتزلة - وهم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا صفات الربوبية. والكيسانية وهم الذين قالوا: لا ندري هذه الأفعال من الله أو من العباد، ولا نعلم أثياب؟ الناس بعد أو يعاقبون. والشيطانية- قالوا: إن الله تعالى لم يخلق الشيطان. والشريكية- قالوا: إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر. والوهمية- قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات، ولا للحسنة والسيئة ذات. والزبرية - قالوا: كل كتاب نزل من عند الله فالعمل به حق، ناسخا كان أو منسوخا. والمسعدية - زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته والناكثية- زعموا أن من نكث بيعة رسول الله ﷺ فلا إثم عليه والقاسطية- تبعوا إبراهيم بن النظام في قوله: من زعم أن الله شي فهو كافر."[1]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

نزل مفسرو الأندلس النص القرآني على فرقة القدرية تارة بالتصريح بالتنزيل عليهم، وتارة بالرد عليهم، غيرها مما ستجده في النقولات عنهم، وهذه بعض أقوالهم في تفاسيرهم، مرتبين حسب وفياتهم.

1- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ).

قال عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ "وهذه الآية ترد على القدرية المفوضة الذين يقولون إن القدرة لا تقتضي أن يؤمن الكافر وإن ما يأتيه الإنسان من جميع أفعاله لا خلق لله فيه تعالى عن قولهم."[2]

ونقل قول الإمام مالك عند قوله تعالى: ﴿**فَأَشارَتْ إِلَيْهِ قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا . وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾[مريم:29...33]: وقال مالك بن أنس رضي الله عنه في هذه الآية: ما أشدها على أهل القدر أخبر عيسى بما قضي من أمره وبما هو كائن إلى أن يموت."[3]

ونقل قول محمد بن سيرين وغيره، عند قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي**

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط3، 1384هـ - 1964م، (161/4).

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ، (288/2).

(3) المصدر السابق: (15/4)

آياتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾: هي إشارة إلى أهل الأهواء من الأمة، وروت هذه الفرقة في نحو هذا حديثا وقالوا هي في أهل القدر ومن جرى مجراهم.[1]

2- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ):

حكم بكفرهم مستدلا بقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ** ﴾ فقال: "وعلى هذا فإن المبتدعة وأهل الأهواء كفار، وقد اختلف العلماء في تكفيرهم. والصحيح عندي ترتيبهم، فأما القدرية فلا شك في كفرهم، وأما من عداهم فنستقرئ فيهم الأدلة، ونحكم بما تقتضيه ..."[2]

وقال عند قولهت: ﴿**صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [التوبة:127]: "إخبار عن أنه صارف القلوب ومصرفها وقالبها ومقلبها ردا على القدرية في اعتقادهم أن قلوب الخلق بأيديهم وجوارحهم بحكمهم، يتصرفون بمشيئتهم، ويحكمون بإرادتهم، واختيارهم، ولهذا قال مالك فيما رواه عنه أشهب: ما أبين هذا في الرد على أهل القدر: ﴿ **لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ**﴾ [التوبة: 110]. وقوله تعالى لنوح: ﴿**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾ [هود: 36]."[3]

3- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ).

أنزل القرطبي الآيات على القدرية في مواضع كثيرة جدا هذه بعضها.

قال عند قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة:6]: "وفي هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية؛ لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية؛ لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة."[4]

وقال: "وبين بقوله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران:128] أن الأمور بقضاء الله وقدره ردا على القدرية وغيرهم."[5]

وقال في ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا**

(1) المصدر السابق: (568/4)
(2) أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، تحق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1424 هـ - 2003 م: (385/1)
(3) المصدر نفسه: (606/2)
(4) تفسير القرطبي: (149/1)
(5) المصدر نفسه: (200/4)

﴿إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران:178]: "والآية نص في بطلان مذهب القدرية."[1]

وقال في ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس:25]: "وهذه الآية بينة الحجة في الرد على القدرية، لأنهم قالوا: هدى الله الخلق كلهم إلى صراط مستقيم، والله قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فردوا على الله نصوص القرآن."[2]

4- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ):

نقل قول محمد بن كعب القرظي عند قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: "قاتل الله القدرية لإبليس أعلم بالله منهم. يريد في أنه على أن الله يهدي ويضل."[3]

وقال عند قوله تعالى: "وظاهر الآية يرد على القدرية والمعتزلة"[4]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي:

أيضا نزل مفسرو المغرب العربي النص القرآني على فرقة القدرية تارة بالتصريح بالتنزيل عليهم، وتارة بالرد عليهم، وتارة بإقامة الحجة، وغيرها مما ستجده في النقولات عنهم، وهذه بعض أقوالهم في تفاسيرهم، مرتبين حسب وفياتهم.

1- مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت437هـ).

نقل قول ابن سيرين في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[المائدة: 41]: "إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فإني لا أدري فيمن نزلت."[5]

وقال في قوله تعالى: في ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجحيم﴾ [الصافات:161-162-163]: "وفي هذه الآية رد على القدرية لأن الضلال والهدى كل بمشيئة الله وقضائه ..."[6]

وقال: "وقيل: عني بالمجرمين هنا أهل القدر، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ المجرمين فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[القمر: 47] الآيات في أهل القدر أيضاً."[7]

وقال في ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:7]: " وهذا فيه أعظم

---

(1) المصدر السابق: (288/4)

(2) المصدر نفسه: (329/8)

(3) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، دط: 1420هـ: (20/5)

(4) المصدر نفسه: (227/5)

(5)الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره...، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، تحق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أد: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008م: (6175/9)

(6) المصدر نفسه، (6460/10).

(7) المصدر نفسه، (5767/9).

حجة على القدرية أن كل امرئ ميسر لما قدر عليه قبل أن يخلق."[1]

2- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ).

قال عند قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ [الإسراء:46]: "في هذه الآية الكريمة الرد الواضح على القدرية في قولهم: إن الشر لا يقع بمشيئة الله، بل بمشيئة العبد ؛ سبحان الله وتعالى علوا كبيرا عن أن يقع في ملكه شيء ليس بمشيئته"[2]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام: آية 39]: "وهذه الآية الكريمة تدل على رد مذهب القدرية ردا واضحا لا شك فيه؛ لأنه بين أن الضلال بمشيئته، والهدى بمشيئته، فلا يقع في الكون تحريكة ولا تسكينة إلا بمشيئته جل وعلا."[3]

وقال عند قوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ [الأنعام: آية 107]: "وهذه الآياتُ تَرُدُّ على الْقَدَرِيَّةِ الزاعمينِ أن الكفرَ والمعاصِيَ بمشيئةِ العبدِ لا بمشيئةِ اللَّهِ، فمذهبُهم باطلٌ، فَرُّوا مِنْ شَيْءٍ فَوَقَعُوا فيما هو أشنعُ وأكبرُ منه."[4]

3- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (ت 1439هـ).

قال عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً**﴾: "أخذ الحذر واجب لأنه سبب شرعه الله تعالى لتوقي المكروه، ولكنه لا يمنع المقدور، وأخطأت القدرية إذا قالوا: الحذر يرد القدر، ولولا أنه كذلك ما أمروا به، وهو خطأ اعتقادي، فالأسباب تؤتى طاعة لله تعالى، وأما دفع المقدور، أي: ما قدره الله على الإنسان فلابد من وقوعه، وفائدة الأخذ بالأسباب: إبعاد الخوف عن النفس وحصول شعور بالفوز والنجاة."[5]

وقال في قوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾ [الأنعام:107] "في الآية دليل على إبطال مذهب القدرية وهم نفاة القدر والزاعمون أن أفعال العباد لم تقدر عليهم وإنما هم الخالقون لهَا بدون إذن الله وإرادته."[6] وإرادته."[6]

---

(1) المصدر السابق: (8294/10).

(2) أضواء البيان، الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان، دط، 1415هـ - 1995م: (161/3)

(3) العذب النمير، محمد الأمين الشنقيطي، تحق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط2، 1426هـ: (229/1)

(4) المصدر نفسه: (79/2)

(5) أيسر التفاسير مع نهر الخير، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ/2003م: (507/1)

(6) المصدر نفسه: (102/2)

وقال عند قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:16] : "في الآية رد على الملاحدة الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله جل جلاله، ورد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أفعالهم والله يقول: ﴿**والله خالق كل شيء**﴾ فلا يخرج شيء عن كونه مخلوقاً لله تعالى."[1]

المطلب الثاني: تنزيل النص القرآني على الجبرية.

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بالجبرية وانقساماتها:

أولا: التعريف بالجبرية: نسبة إلى الجبر، والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى[2].

ثانيا: انقساماتها: الجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا[3].

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

نزل مفسرو الأندلس بعض آيات القرآن على هذه الفرقة وتنوعت عباراتهم في ذلك تجدهم في ما يلي:

1- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ):

قال عند قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:134]: "وفي هذه الآية رد على الجبرية القائلين لا اكتساب للعبد."[4] للعبد."[4]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:280]: "وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان، وهذا رد على الجبرية."[5]

وقال في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس:8]: "وفي هذه اللفظة رد على الجبرية ونص على تعلّق العقاب بالتكسب الذي للإنسان."[6]

2- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت 671هـ):

---

(1) المصدر السابق: (18/3).

(2) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، تحق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ_1993م: (85/1).

(3)ينظر: المصدر نفسه، (85/1).

(4) المحرر الوجيز، ابن عطية: (214/1).

(5) المصدر السابق: (378/1).

(6) المصدر نفسه: (107/3).

قال عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:281]: "وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الأعمال، وهو رد على الجبرية."[1]

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداهَا وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[السجدة:13] "فقد بطل عندنا وعندكم أن يهديهم الله سبحانه على طريق الإلجاء والإجبار والإكراه، فصار يؤدي ذلك إلى مذهب الجبرية، وهو مذهب رَذْل عندنا وعندكم، فلم يبق إلا أن المهتدين من المؤمنين إنما هداهم الله تعالى إلى الإيمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح التكليف، فمن شاء آمن وأطاع اختيارا لا جبرا."[2]

- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ):

قال في قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:5]: "وفي قوله: نعبد قالوا رد على الجبرية، وفي نستعين رد على القدرية."[3]

وقال في قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: 280] "ثم توفى كل نفس أي تعطى وافيا جزاء ما كسبت من خير وشر، وفيه نص على تعلق الجزاء بالكسب، وفيه رد على الجبرية."[4]

وقال أيضا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَرَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ.﴾[يونس:8]: "وبما كانوا يكسبون إشعار بأن الأعمال السابقة يكون عنها العذاب، وفي ذلك رد على الجبرية، ونص على تعلق العقاب بالكسب، ومجيئه بالمضارع دليل على أنهم لم يزالوا مستمرين على ذلك ماضي زمانهم ومستقبله."[5]

3- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ):

وجدت له تنزيلا واحدا وهو قوله في قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]: "إياك نستعين: أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأنّ الحق بين ذلك."[6]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

نزل مفسرو المغرب العرب كذلك بعض الآيات على هذه الفرقة بعبارات مختلفة نذكر

---

(1) تفسير القرطبي: (376/3).
(2) المصدر نفسه: (97/14).
(3)البحر المحيط، أبو حيان: (44/1).
(4) المصدر نفسه: (720/2).
(5) المصدر نفسه: (16/6).
(6) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت –لبنان، ط1، 1416هـ: (65/1).

بعضهم وأمثلة من أقوالهم.

1- محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (ت 803هـ).

قال عند قوله تعالى: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:74]: "هي حجة على الجبرية القائلين: بأن لا قدرة للعبد، ودليل لأهل السنة القائلين بالكسب."[1]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ...﴾ [النحل:127]: " فيه رد على المعتزلة في قولهم العبد خلق أفعاله ورد على الجبرية القائلين بأن حركة العبد كحركة المرتعش، وإنه قيل له: افعل بأمر لَا فعل له ودليل لأهل السنة في إثبات الكسب لأنه أمر بالصبر ثم إنه لَا صبر له إلا بالله."[2] .

وقال عند قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**﴾ [المؤمنون: 106]: "يدل على اتصافهم بمذهب الجبرية القائلين: بأن لَا قدرة للعبد ولا كسب، لأنهم آتوا هذا عذرا لهم، أن هذا أمر قدر علينا لَا طاقة لنا به، كقول آدم لموسى صلى الله على نبينا محمد وعليهما وسلم: [تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ*]، وقولهم ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾ [المؤمنون:107] يدل على اعتقادهم أن لهم كسبا واختيارا"[3]

2- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت1393هـ).

قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف:57]: "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه جعل على قلوب الظالمين المعرضين عن آيات الله إذا ذكروا بها أكنة، أي: أغطية تغطي قلوبهم فتمنعها من إدراك ما ينفعهم مما ذكروا به، وواحد الأكنة كنان، وهو الغطاء، وأنه جعل في آذانهم وقرا، أي: ثقلا يمنعها من سماع ما ينفعهم من الآيات التي ذكروا بها، وهذا المعنى أوضحه الله تعالى في آيات أخر، كقوله: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقرة:7]، وقوله: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً**﴾ الآية [الجاثية:23]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**﴾ [الإسراء:45] ... والآيات بمثل ذلك كثيرة جدا.

فإن قيل: إذا كانوا لا يستطيعون السمع ولا يبصرون ولا يفقهون؛ لأن الله جعل الأكنة

---

(1) تفسير ابن عرفة، تحق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1408هـ: (39/2).
(2) المصدر نفسه: (57/3).
(3) المصدر نفسه: (217/3).

المانعة من الفهم على قلوبهم، والوقر الذي هو الثقل المانع من السمع في آذانهم فهم مجبورون، فما وجه تعذيبهم على شيء لا يستطيعون العدول عنه والانصراف إلى غيره؟

فالجواب: أن الله جل وعلا بين في آيات كثيرة من كتابه العظيم: أن تلك الموانع التي يجعلها على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، كالختم والطبع والغشاوة والأكنة، ونحو ذلك إنما جعلها عليهم جزاء وفاقا لما بادروا إليه من الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم، فأزاغ الله قلوبهم بالطبع والأكنة ونحو ذلك، جزاء على كفرهم، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ**﴾ [النساء:155]، أي: بسبب كفرهم، وهو نص قرآني صريح في أن كفرهم السابق هو سبب الطبع على قلوبهم، وقوله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف: 5]. وهو دليل أيضا واضح على أن سبب إزاغة الله قلوبهم هو زيغهم السابق، ... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الطبع على القلوب ومنعها من فهم ما ينفع عقاب من الله على الكفر السابق على ذلك. وهذا الذي ذكرنا هو وجه رد شبهة الجبرية التي يتمسكون بها في هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم."[1]

وفي رد شبهة جعل الإلهام كالوحي عند الجبرية قال: "وما يزعمه بعض الجبرية أيضا من الاحتجاج بالإلهام في حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحي المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [الأنعام: 125]، وبخبر «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»[2] كله باطل لا يعول عليه، لعدم اعتضاده بدليل، وغير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان، وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات."[3]

3- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ).

قال في قوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة:286]: "وهذه الآية تقتضي عدم وقوع التكليف بما لا يطاق في الشريعة، بحسب المتعارف في إرادة البشر وقدرهم، دون ما هو بحسب سر القدر، والبحث عن حقيقة القدرة الحادثة، نعم يؤخذ منها الرد على الجبرية."[4]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:148]: "وفي الآية حجة على

(1) أضواء البيان، الشنقيطي: (312/3).
(2) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الحجر، رقم (3127)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (268/4).
(3) أضواء البيان، الشنقيطي: (323/3).
(4) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: (137/3).

الجبرية."[1]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الإنسان:30]: "وبهذا بطل مذهب الجبرية؛ لأن الآية أثبتت مشيئة للناس وجعلت مشيئة الله شرطا فيها؛ لأن الاستثناء في قوة الشرط، فللإنسان مشيئته لا محالة."[2]

المطلب الثالث: تنزيل النص القرآني على الجهمية.

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بالجهمية وانقساماتها:

أولا: التعريف بالجهمية: نسبة إلى الجهم، وهي فرقة كلامية ترجع تسميتها إلى مؤسسها وهو الجهم بن صفوان الترمذي، توفي سنة (128هـ) مقتولا، أنكرت جميع الأسماء والصفات، ويرون أن الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل، وأن الإنسان مجبر على أفعاله...[3]

ثانيا: انقساماتها : قال القرطبي: " وانقسمت الجهمية اثنتي عشرة فرقة: المعطلة- زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق. وإن من ادعى أن الله يرى فهو كافر. والمريسية قالوا: أكثر صفات الله تعالى مخلوقة. والملتزقة- جعلوا الباري سبحانه في كل مكان. والواردية- قالوا لا يدخل النار من عرف ربه، ومن دخلها لم يخرج منها أبدا والزنادقة - قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ربا، لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس، وما لا يدرك لا يثبت. والحرقية- زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقا أبدا لا يجد حر النار. والمخلوقية- زعموا أن القرآن مخلوق. والفانية- زعموا أن الجنة والنار يفنيان، ومنهم من قال لم يخلقا. والعبدية - جحدوا الرسل وقالوا إنما هم حكماء. والواقفية- قالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق. والقبرية- ينكرون عذاب القبر والشفاعة. واللفظية- قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق."[4]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

لما كانت عقائد الجهمية تشترك كثيرا مع بعض الفرق الأخرى كالقدرية والمعتزلة لم أجد من مفسري الأندلس من نزل عليهم الآيات إلا القرطبي، وهذه أمثلة من تفسيره:

قال رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿**وهو بكل شيء عليم**﴾ أي بما خلق وهو خالق كل شي، فوجب أن يكون عالما بكل شي، وقد قال:﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾[الملك: 14] فهو العالم والعليم

(1) المصدر نفسه: (148/أ8).

(2) المصدر السابق: (415/29).

(3) ينظر: تفاصيل هذه الفرقة :الملل والنحل، الشهرستاني، (97/1-99)، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري: (312/1).

(4) تفسير القرطبي: (162/4).

بجميع المعلومات بعلم قديم أزلي واحد قائم بذاته، ووافقنا المعتزلة على العالمية دون العلمية. وقالت الجهمية: عالم بعلم قائم لا في محل، تعالى الله عن قول أهل الزيغ والضلالات."[1]

وقال عند قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ** ﴾ [آل عمران:131]: "وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة ردا على الجهمية، لأن المعدوم لا يكون معدا."[2]

وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ**﴾ [النساء:108]"ومعنى ﴿**وهو معهم**﴾ أي بالعلم والرؤية والسمع، هذا قول أهل السنة. وقالت الجهمية والقدرية والمعتزلة: هو بكل مكان، تمسكا بهذه الآية وما كان مثلها، قالوا: لما قال: ﴿**وهو معهم**﴾ ثبت أنه بكل مكان، لأنه قد أثبت كونه معهم، تعالى الله عن قولهم، فإن هذه صفة الأجسام والله تعالى متعال عن ذلك ألا ترى مناظرة بشر في قول الله عز وجل: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ [المجادلة:7]حين قال: هو بذاته في كل مكان فقال له خصمه: هو في قلنسوتك وفي حشوك وفي جوف حمارك. تعالى الله عما يقولون!"[3]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

كذلك لم أجد من نزل الآيات على هذه الفرقة من مفسري المغرب العربي إلا ثلاثة أقوال لثلاثة مفسرين، وهذه أقوالهم منسوبة إليهم:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عند قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:3]: "واعلم أن ما يزعمه الجهمية من أن الله تعالى في كل مكان، مستدلين بهذه الآية على أنه في الأرض، ضلال مبين، وجهل بالله تعالى؛ لأن جميع الأمكنة الموجودة أحقر وأصغر من أن يحل في شيء منها رب السماوات والأرض، الذي هو أعظم من كل شيء، وأعلى من كل شيء، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، فالسماوات والأرض في يده - جل وعلا - أصغر من حبة خردل في يد أحدنا، وله المثل الأعلى، فلو كانت حبة خردل في يد رجل فهل يمكن أن يقال: إنه حال فيها، أو في كل جزء من أجزائها، لا وكلا، هي أصغر وأحقر من ذلك."[4]

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عند قوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ**﴾ [آل عمران:141]: "ولذلك قال أبو الحسين بالتزام وقوع التغير في علم الله تعالى بالمتغيرات، وأن ذاته تعالى تقتضي اتصافه بكونه عالما بالمعلومات التي ستقع، بشرط وقوعها، فيحدث العلم بأنها وجدت عند وجودها، ويزول عند زوالها، ويحصل علم آخر،

(1) المصدر السابق: (261/1).
(2) المصدر نفسه: (203/4).
(3) المصدر نفسه: (379/5).
(4) أضواء البيان، الشنقيطي: (471/1).

وهذا عين مذهب جهم وهشام. ورد عليه بأنه يلزم أن لا يكون الله تعالى في الأزل عالما بأحوال الحوادث، وهذا تجهيل."[1]

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري عند قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ [الرعد:35]: "في الآية ردّ على الجهمية القائلين بفناء نعيم الجنة."[2]

المطلب الرابع: تنزيل النص القرآني على الرافضة.

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بالرافضة وانقساماتها:

أولا: التعريف بالرافضة: نسبة إلى الرفض، مصطلح أطلقه طوائف المسلمين على بعض الشيعة؛ نظراً لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقيل لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وكفروا أكثر الصحابة[3].

ثانيا: انقساماتها : قال القرطبي: "وانقسمت الرافضة اثنتي عشرة فرقة: العلوية- قالوا: إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ. والأمرية-

قالوا: إن عليا شريك محمد في أمره. والشيعة- قالوا: إن عليا رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده، وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره. والإسحاقية- قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي. والناووسية- قالوا: علي أفضل الأمة، فمن فضل غيره عليه فقد كفر. والإمامية- قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبريل عليه السلام، فإذا مات بدل غيره مكانه. والزيدية- قالوا: ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات، فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيرهم، برهم وفاجرهم. والعباسية- زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره. والتناسخية- قالوا: الأرواح تتناسخ، فمن كان محسنا خرجت روحه فدخلت في خلق يسعد بعيشه. والرجعية- زعموا أن عليا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا، وينتقمون من أعدائهم. واللاعنة - يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم والمتربصة-

(1) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: (103/4).

(2) أيسر التفاسير مع نهر الخير، أبو بكر جابر: (32/3).

(3) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1369هـ-1950م، (87/1-88)، منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحق: محمد رشاد سالم، ط:1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ-1986م، (21/1...73).

تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر رجلا ينسبون إليه الأمر، يزعمون أنه مهدي هذه الأمة، فإذا مات نصبوا آخر. ثم انقسمت الجبرية اثنتي عشرة فرقة: فمنهم المضطرية قالوا: لا فعل للآدمي، بل الله يفعل الكل. والأفعالية قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها، وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل. والمفروغية- قالوا: كل الأشياء قد خلقت، والآن لا يخلق شي. والنجارية- زعمت أن الله تعالى يعذب الناس على فعله لا على فعلهم. والمنانية- قالوا: عليك بما يخطر بقلبك، فافعل ما توسمت منه الخير. والكسبية- قالوا: لا يكتسب العبد ثوابا ولا عقابا. والسابقية- قالوا: من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل، فإن السعيد لا تضره ذنوبه والشقي لا ينفعه بره. والحبية- قالوا: من شرب كأس محبة الله تعالى سقطت عنه عبادة الأركان. والخوفية- قالوا: من أحب الله تعالى لم يسعه أن يخافه، لأن الحبيب لا يخاف حبيبه. والفكرية - قالوا: من ازداد علما أسقط عنه بقدر ذلك من العبادة. والخشبية - قالوا: الدنيا بين العباد سواء، لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم. والمنية قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة."[1]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

لقد انبرى مفسرو الأندلس للرد على الشيعة الروافض من خلال تنزيل الآيات عليهم بعبارات مختلفة تجدها في ما يلي:

1- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ):

قال عند قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾ [هود:73]: "وهذه الآية تعطي أن زوجة الرجل من أهل بيته لأنها خوطبت بهذا، فيقوى القول في زوجات النبي عليه السّلام بأنهن من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، بخلاف ما تذهب إليه الشيعة، وقد قاله أيضا بعض أهل العلم، قالوا: «أهل بيته» الذين حرموا الصدقة، والأول أقوى وهو ظاهر جلي من سورة الأحزاب لأنه ناداهن بقوله: ﴿**يا نِساءَ النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب: 32] ثم بقوله: ﴿**أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ [الأحزاب: 33]... والْبَيْتِ في هذه الآية وفي سورة الأحزاب بيت السكنى ففي اللفظ اشتراك ينبغي أن يتحسس إليه. ففاطمة رضي الله عنها من أهل بيت محمد ﷺ بالوجهين وعلي رضي الله عنه بالواحد، وزوجاته بالآخر، وأما الشيعة فيدفعون الزوجات بغضا في عائشة رضي الله عنها."[2]

وقال عند قوله عز وجل: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:38]: "وقال بعض الشيعة إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعلي بن أبي طالب، وإن الله سيبعثه في الدنيا، وهذا هو القول بالرجعة،

(1) تفسير القرطبي: (164/4).
(2) المحرر الوجيز لابن عطية: (3/ 192).

وقولهم هذا باطل وافتراء على الله وبهتان من القول رده ابن عباس وغيره."[1]

2- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ):

قال عند قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:68]: "قال قوم: هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه - ﷺ - والمراد بذلك الأمة، وكأن القائلين بذلك ذهبوا إلى تنزيه النبي - ﷺ - عن النسيان وهم كبار الرافضة - قبحهم الله-،... وإن عذرنا أصحابنا في قولهم: إن قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: 65]، خطاب للأمة باسم النبي - ﷺ -؛ لاستحالة الإشراك عليه، فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان على النبي - ﷺ - قال الله تعالى: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى**﴾ [الأعلى:6]. وقال - ﷺ - مخبرا عن نفسه: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»[2]، وقال وقد سمع قراءة رجل يقرأ: «لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا». وقال في ليلة القدر: «تَلَاحَى رَجُلَانِ فَنَسِيتهَا»[3]."[4]

وقال تحت قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33]، دفاعا عن عائشة رضي الله عنها ودفعا لاستدلال الرافضة بهذه الآية: "مسألة: تعلق الرافضة بآية ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ تعلق الرافضة لعنهم الله بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - إذ قالوا: إنها خالفت أمر الله وأمر رسوله - ﷺ - وخرجت تقود الجيوش، وتباشر الحروب، وتقتحم مآزق الحرب والضرب، فيما لم يفرض عليها، ولا يجوز لها.

ولقد حصر عثمان، فلما رأت ذلك أمرت برواحلها فقربت، لتخرج إلى مكة، فقال لها مروان بن الحكم: يا أم المؤمنين؛ أقيمي هاهنا، وردي هؤلاء الرعاع عن عثمان؛ فإن الإصلاح بين الناس خير من حجك.

وقال علماؤنا رحمة الله عليهم: إن عائشة كانت نذرت الحج قبل الفتنة، فلم تر التخلف عن نذرها؛ ولو خرجت عن تلك الثائرة لكان ذلك صوابا لها.

وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ**

---

(1) المصدر نفسه: (3/ 393).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم: (8607)، وغيره.

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصوم ، باب الترغيب في طلبها في الشفع من العشر الأواخر فإنه إذا عد الشهر من آخره كانت أشفاعه أوتارا، رقم: (8607).

(4) أحكام القرآن، ابن العربي: (260/2).

نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114].

وبقوله: **﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾** [الحجرات: 9].

والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى، حر أو عبد، فلم يرد الله بسابق قضائه، ونافذ حكمه، أن يقع إصلاح، ولكن جرت مطاعنات وجراحات، حتى كاد يفنى الفريقان، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة، فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة قرنهن علي بها، حتى أوصلوها إلى المدينة برة تقية مجتهدة، مصيبة ثابتة فيما تأولت، مأجورة فيما تأولت وفعلت؛ إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب. وقد بينا في كتب الأصول تصويب الصحابة في الحروب، وحمل أفعالهم على أجمل تأويل."[1]

3- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ).

قال عند قوله تعالى: **﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** [آل عمران:64] "وفيه رد على الروافض الذين يقولون: يجب قبول قول الامام دون إبانة مستند شرعي، وإنه يحل ما حرمه الله من غير أن يبين مستندا من الشريعة."[2]

وقال عند قوله تعالى: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾**[النساء:03]: "اعلم أن هذا العدد مثنى وثلاث ورباع لا يدل على إباحة تسع، كما قال من بَعُد فهمه للكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة، وزعم أن الواو جامعة، وعضد ذلك بأن النبي ﷺ نكح تسعا، وجمع بينهن في عصمته. والذي صار إلى هذه الجهالة، وقال هذه المقالة الرافضة وبعض أهل الظاهر، فجعلوا مثنى مثل اثنين، وكذلك ثلاث ورباع... وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة، إذ لم يسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع وأخرج مالك في موطئه، والنسائي والدار قطني في سننهما أن النبي ﷺ قال لغيلان بن أمية الثقفي وقد أسلم وتحته عشر نسوة: «اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا وَفَارِقْ سَائِرَهُنَّ»[3] ..."[4]

وقال عند قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** [المائدة:67]: "قيل:

---

(1) المصدر السابق: (3/569-570).

(2) تفسير القرطبي: (4/107).

(3) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب جامع الطلاق، رقم: 1693، والدار قطني في السنن، كتاب النكاح، باب المهر، رقم: 3686، ولم أجده في سنن النسائي.

(4) تفسير القرطبي: (5/17).

معناه أظهر التبليغ، لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفا من المشركين، ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس. وكان عمر رضي الله عنه أول من أظهر إسلامه وقال: لا نعبد الله سرا، وفي ذلك نزلت: ﴿**حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: 64] فدلت الآية على رد قول من قال: إن النبي ﷺ كتم شيئا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة ..."[1]

4- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ).

قال في كشف شبهة من شبهاتهم: "وقد استدلت الرافضة بقوله: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:39]، على أن البدء جائز على الله تعالى، وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الأمر خلاف ما اعتقده، وهذا باطل؛ لأن علمه تعالى من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا. وأما الآية فقد احتملت تلك التأويلات المتقدمة، فليست نصا فيما ادعوه، ولو كانت نصا وجب تأويله." [2]

وقال تحت قوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:38]: "وأما قول الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعلي بن أبي طالب، وأن الله سيبعثه في الدنيا، فسخافة من القول."[3]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]: "وفي ذكر تدبر القرآن رد على من قال من الرافضة: إن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول ﷺ."[4]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل:22]: "وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أعلم منه."[5]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

كذلك نزل مفسرو المغرب العربي بعض آيات القرآن على الرافضة، نذكر بعضهم مع أمثلة من أقوالهم:

1- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ).

وجدت له موضعا واحدا نقل فيه الإجماع على إمامة أبي بكر ردا على الرافضة في تفسير قوله تعالى:﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا**

(1) المصدر السابق: (242/6).
(2) البحر المحيط، أبو حيان: (399/6).
(3) المصدر نفسه: (530/6).
(4) المصدر نفسه: (726/3).
(5) المصدر نفسه: (225/8).

﴿فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40] فقال: "وقد أجمع جميع المسلمين أنه أبو بكر (رضي الله عنه). وفي هذه الآية من سورة براءة أعظم منقبة لأبي بكر (رضي الله عنه)، فما يحاول به الإمامية وغيرهم من الشيعة من الكلام في أبي بكر (رضي الله عنه) وتفنيد ما دلت عليه هذه الآية من فضله وعظمته، كله باطل لا يلتفت إليه، وقد قال بعض العلماء: من أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله كفر لتكذيبه بهذه الآية الكريمة."[1]

2- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ).

قال كاشفا غلطهم في قراءة وتأويل قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف: 51]: "وقرأ بعض الرافضة ﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ بصيغة التثنية، وفسروها بأبي بكر وعمر حاشا هما، وقاتلهم الله."[2]

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67]: "وإذ قد كانت هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن علمنا أن من أهم مقاصدها أن الله أراد قطع تخرص من قد يزعمون أن الرسول قد استبقى شيئا لم يبلغه، أو أنه قد خص بعض الناس بإبلاغ شيء من الوحي لم يبلغه للناس عامة. فهي أقطع آية لإبطال قول الرافضة بأن القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر ونسخه عثمان، وأن رسول الله اختص بكثير من القرآن عليا بن أبي طالب، وأنه أورثه أبناءه وأنه يبلغ وقر بعير، وأنه اليوم مختزن عند الإمام المعصوم الذي يلقبه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوصي."[3]

3- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري (ت 1439هـ).

أكثر الشيخ أبو بكر جابر من تنزيل الآيات على الرافضة، وهذه أمثلة من أقواله:

قال تحت قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:150] في هداية الآيات: "حرمة خشية الناس، ووجوب خشية الله تعالى". وعلق عليه في ما سماه نهر الخير: "في هذا إبطال للتقية التي جعلها الروافض من أصول دينهم."[4]

وفي رد استدلال الروافض على نكاح المتعة قال: "استدل الروافض بهذه الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ على جواز نكاح المتعة، وهو استدلال فاسد وباطل، ويكفي في بطلانه؛ إجماع أهل السنة والجماعة على بطلانه، وإنه زنا إلا أنه لا يقام على صاحبه حد الرجم

(1) العذب النمير، الشنقيطي: (530/5).
(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (61/1).
(3) المصدر نفسه: (260/6).
(4) أيسر التفاسير مع نهر الخير أبو بكر جابر الجزائري: (132/1).

بالشبهة، والرسول ﷺ يقول: "ادْرَءُوا الحُدُودَ بالشُّبُهَات"[1]. ونكاح المتعة رخص فيه الرسول ﷺ مرة ثم أعلن عن حرمته. أعلن ذلك في حجة الوداع ليعلم كل إنسان ذلك، ومن الأدلة على حرمة المتعة: أن المتمتع بها لا ترث، والزوجة الشرعية ترث الربع والثمن."[2]

وبين ضلالهم في مسح الرجلين مباشرة في الوضوء تحت قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾[المائدة:6] فقال: "وضلت الرافضة فأخذوا بقراءة: ﴿**وأرجلِكم**﴾ بالكسر، ومسحوا أرجلهم في كل وضوء وتركوا غسل الرجلين أبدًا، والحامل لهم على ذلك أن رؤساءهم زينوا لهم ذلك وأوجبوه عليهم لعلة أن يبقوا بعيدين عن الإسلام والمسلمين ليستغلوهم."[3]

وقال مبينا ضعف فهمهم للآيات وتقليدهم لأئمتهم تحت قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:33]: "من جهل الرافضة وما وضع لهم من قواعد في دينهم لإخراجهم من الإسلام وإبعادهم عن جماعة المسلمين قصرهم هذه الآية على علي وفاطمة والحسين دون أزواج النبي ﷺ مع أن الخطاب في الآية لأزواج النبي ﷺ، وحديث الكساء لا ينافي إدخال سائر نساء النبي في أهل بيته إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر المعروفة في لغة القرآن ونصه في صحيح مسلم[4] عن عائشة قالت "خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: "﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾"[5].

المطلب الخامس: تنزيل النص القرآني على الخوارج.

قبل أن نعرض تنزيلات مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بالخوارج وانقساماتها:

أولا: التعريف بالخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود، باب ما جاء في درء الحدود بالشبهات، رقم: (17057).
(2) أيسر التفاسير مع نهر الخير أبو بكر جابر الجزائري: (461/1).
(3) المصدر السابق: (598/1).
(4) في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 61 - (2424)
(5) أيسر التفاسير مع نهر الخير أبو بكر جابر الجزائري: (257/4).

بإحسان، والأئمة في كل زمان[1]، وأجمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إن حكم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات أصحاب نجدة[2].

ثانيا: انقساماتها: اختلف في العدد الذي وصلت إليه فرق الخوارج، قال الشاطبي: "وأما الخوارج فسبع فرق، وهم: المحكمة، والبيهسية، والأزارقة، والنجدات. والعبدية، والإباضية وهم أربع فرق: الحفصية، واليزيدية، والحارثية، والمطيعية."[3]

وقال البغدادي: "وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها: المحكمة الأولى والأزارقة ثم النجدات ثم الصفرية ثم العجاردة، وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة منها: الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والإبراهيمية والواقفة وافترقت الإباضية منها فرقا: حفصية وحارثية ويزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها، واليزيدية منهم أتباع ابن يزيد بن أنيس ليست من فرق الإسلام لقولها بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم، وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الإسلام لأنها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس، وسنذكر اليزيدية والميمونية في جملة الذين انتسبوا إلى الإسلام وما هم منهم ولا من فرقهم."[4]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

نزل مفسرو الأندلس الآيات على الخوارج وأكثرها مرويات عن السلف.

1- محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنين المالكي (ت 399هـ).

قال عند قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زيغ**﴾ الآية [آل عمران:7]: " كان الحسن يقول: نزلت فِي الخوارج. قال الحسن: وَمعنى ﴿**ابْتِغَاء الْفِتْنَة**﴾: طلب الضَّلَالَة. قَالَ مُحَمَّد: الْفِتْنَة تتصرف عَلَى ضروب؛ فكان الضرب الذي ابتغاه هؤلاء إفساد ذات البين في الدين، ومعنى (الزيغ): الجور، والميل عن القصد."[5]

نقل عن أبي غالب قال: "كنت مع أبي أمامة وهو على حمار، حتى انتهينا إلى درج المسجد

---

(1) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (114/1).

(2) ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الاشعري، (114/1).

(3) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي، تحق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ - 1992م: (719/2).

(4) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص: (17).

(5) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة –مصر، ط1، 1423هـ-2002م: (275/1).

بدمشق؛ فإذا برءوس من رءوس الخوارج منصوبة، فقال: ما هذه الرءوس؟ قالوا: رءوس خوارج جيء بها من العراق، فقال: كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء! خير قتيل من قتلوه، خير قتيل من قتلوه، خير قتيل من قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه. ثم بكى، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: رحمة لهم؛ إنهم كانوا من أهل الإسلام، فخرجوا من الإسلام، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكتاب مِنْهُ آيَات محكمات**﴾ حتى انتهى إلى آخرها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**بِمَا كُنْتُم تكفرون**﴾ فقلت: هم هؤلاء يا أبا أمامة؟ فقال: نعم، فقلت: شيء تقوله برأيك، أم سمعت رسول الله يقوله؟ قال: إني إذن لجريء، إني إذن لجريء، إني إذن لجريء! لقد سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين. حتى بلغ سبعا، ووضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: وإلا فصمتا."[1]

2 - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ):

نقل ابن عطية كذلك أقوال السلف في تنزيل الآيات على الخوارج مقررا ومؤيدا، وهذه أمثلة:

قال: "وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ [آل عمران:7] : إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج، فلا أدري من هم؟"[2]

وقال: "قال القاضي أبو محمد: ومعنى الآية عندي أن الله وعد هذه الأمة من ارتد منها فإنه يجيء بقوم ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين فكان أبو بكر وأصحابه ممن صدق فيهم الخبر في ذلك العصر، وكذلك هو عندي أمر عليّ مع الخوارج."[3]

وقال: "وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان في صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج بأعلى صوته فقرأ هذه الآية: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾ [الزمر: 65]، فعلم علي رضي الله عنه مقصده في هذا وتعريضه به فأجابه وهو في الصلاة بهذه الآية: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾ [الروم:60]"[4]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [إبراهيم:5]: "وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال سعد بن أبي وقاص: هم الحرورية، المعنى: أنهم أشباههم

(1) المصدر السابق: (310/1).
(2) المحرر الوجيز، ابن عطية: (402/1).
(3) المصدر نفسه: (207/2)
(4) المصدر نفسه: (344/4)

في أنهم لما زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ."[1]

3 - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ).

نقل قول قتادة بن دعامة السدوسي فقال: "وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران:7]: إن لم يكونوا الحرورية وأنواع الخوارج فلا أدري من هم."[2]

ونقل رواية أبي أمامة الباهلي فقال: "وروي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران:118] قال: هم الخوارج."[3]

وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾[النساء:48]: "رد على الخوارج، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر."[4]

وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ. عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ**﴾ [الغاشية:2-3]: "وعن علي رضي الله عنه أنهم أهل حروراء، يعني الخوارج الذين ذكرهم رسول الله ﷺ فقال: «تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَأَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ،...»[5] [الحديث]"[6]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

1- مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت437هـ).

نقل أثر أبي أمامة في تنزيله الآية على الخوارج حيث قال: "قال أبو أمامة ﴿**فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ**﴾: هم الخوارج."[7]

ونقل أثر علي رضي الله عنه وسعيد كذلك في تنزيله هذه الآية عليهم فقال: "عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنهم الخوارج أهل حروراء. وقال: سعيد: هم الخوارج."[8]

وقال منزلا الآية عليهم: "ونزل في الحرورية ﴿**الذين يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ ميثاقه**﴾ [البقرة: 27] الآية"[9]

---

(1) المصدر نفسه: (301/5)
(2) تفسير القرطبي: (13/4).
(3) المصدر نفسه: (179/4)
(4) المصدر نفسه: (386/5)
(5) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، رقم: (5058).
(6) تفسير القرطبي: (28/20)
(7) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي ابن أبي طالب: (1090/2).
(8) المصدر نفسه: (4479/6).
(9) المصدر نفسه: (4479/6).

2- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ).

الثعالبي بدوره ادلى بدلوه في نقل أقوال السلف في تنزيل الآيات على هذه الفرقة وها هي أقواله في ذلك:

نقل قول أبي أمامة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ [آل عمران:106] فقال:" ﴿**وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ قال أبو أُمَامة: هي في الخَوَارج."[1]

ونقل قول أبي سعيد الأنصاري في قوله تعالى:﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**.﴾[الكهف:103-104] فقال: "وعن سعد بن أبي وقَّاص في معنى قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ قال: هُمْ عُبَّاد اليهودِ والنصارى، وأهْلُ الصوامع والدِّياراتِ وعن عَلِيّ: هم الخوارجُ ويضعِّف هذا كلَّه قولُهُ تعالى بعْدَ ذلك: ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ**﴾، وليس هذه الطوائف ممن يكفر باللَّه ولقائه، وإنما هذه صفة مشركي عَبَدَةِ الأوثان، وعليٌّ وسعْدٌ رضي اللَّه عنهما، ذكَرا قوماً أَخَذُوا بحظِّهم من صدر الآية."[2]

3 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ).

نقل احتجاج ابن عباس على الخوارج في بطلان التكفير بالكبيرة بهذه الآية: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة:178] فقال: "واحتج ابن عباس بهذه الآية على الخوارج في أن المعصية لا تزيل الإيمان، لأن الله سمى القاتل أخا لولي الدم، وتلك أخوة الإسلام مع كون القاتل عاصيا."[3]

وقال مفندا استدلالهم بظاهر الآية التي ستأتي في تكفير مرتكب الكبيرة فقال: "وتمسك بظاهر هاته الآية ونحوها الخوارج القائلون بتكفير مرتكب الكبيرة ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة:276] تمسكوا بنظائرها، وغفلوا عن تغليظ وعيد الله تعالى في وقت نزول القرآن؛ إذ الناس يومئذ قريب عهدهم بكفر، ولا بد من الجمع بين أدلة الكتاب والسنة."[4]

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام:158]: وفند استدلالهم بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار: "التقدير: لا ينفع نفسا غير مؤمنة إيمانها أو

(1) تفسير الثعالبي: (91/2).
(2) المصدر نفسه: (91/2).
(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: (142/2)
(4) المصدر نفسه: (91/3).

نفسا لم تكن كسبت خيرا في إيمانها من قبل كسبها، يعني أو ما يقوم مقام كسب الخير، مثل التوبة فإنها بعض اكتساب الخير، وليس المراد أنه لا ينفع نفسا مؤمنة إيمانها إذا لم تكن قد كسبت خيرا بحيث يضيع الإيمان إذا لم يقع اكتساب الخير، لأنه لو أريد ذلك لما كانت فائدة للتقسيم، ولكفى أن يقال لا ينفع نفسا إيمانها لم تكسب خيرا، ولأن الأدلة القطعية ناهضة على أن الإيمان الواقع قبل مجيء الآيات لا يدحض إذا فرط صاحبه في شيء من الأعمال الصالحة، ولأنه لو كان كذلك وسلمناه لما اقتضى أكثر من أن الذي لم يفعل شيئا من الخير عدا أنه آمن لا ينفعه إيمانه، وذلك إيجاد قسم لم يقل به أحد من علماء الإسلام.

وبذلك تعلم أن الآية لا تنهض حجة للمعتزلة ولا الخوارج الذين أوجبوا خلود مرتكب الكبيرة غير التائب في النار، والتسوية بينه وبين الكافر، وإن كان ظاهرها قبل التأمل يوهم أنها حجة لهم."[1]

المطلب السادس: تنزيل النص القرآني على المعتزلة.

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الاول: التعريف بالمعتزلة وانقساماتها:

أولا: التعريف بالمعتزلة: المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، اعتمدت على المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، سميت بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ومخالفته له في أمور في العقيدة، نفت جميع الصفات عن الله سبحانه، وانقسمت إلى فرق كثيرة[2].

ثانيا: انقساماتها: اتفق البغدادي والشاطبي في عدد فرق المعتزلة، واختلفوا في بعض التسميات.

قال البغدادي: "المعتزلة افترقت فِيمَا بَينهَا عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهن الواصلية والعمرية والهذيلية والنظامية والأسوارية والمعمرية والاسكافية والجعفرية والبشرية والمردارية والهشامية والتمامية والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية وأصحاب صَالح قبَّة والمويسية والشحامية والكعبية والجبابية والهشمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الحبالى."[3]

وقال الشاطبي: "فأما المعتزلة فافترقوا إلى عشرين فرقة وهم: الواصلية، والعمرية،

(1) المصدر السابق: (8 أ/188).

(2) ينظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري :(17/1)، الملل والنحل، الشهرستاني :(56/1-90)، الفرق بين الفرق، البغدادي، ص: (20-21).

(3) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص:(93).

والهذيلية، والنظامية، والأسوارية، والإسكافية، والجعفرية، والبشرية، والمزدارية، والهشامية، والصالحية، والخطابية، والحدبية، والمعمرية، والثمامية، والخياطية، والجاحظية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية."[1]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

1- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ).

قال منزلا الآية في الرد على المعتزلة: "في قوله تعالى: ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً**﴾ ... رد على المعتزلة في قولهم: إن الله لا يخلق الضلال."[2]

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران:8]: "وهذه الآية حجة على المعتزلة في قولهم: إن الله لا يضل العباد، ولو لم تكن الإزاغة من قبله لما جاز أن يدعي في دفع ما لا يجوز عليه فعله."[3]

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾ [الأنعام:107]: "في ظاهرها رد على المعتزلة القائلين إنه ليس عند الله لطف يؤمن به الكافر وإن الكافر والإنسان في الجملة يخلق أفعاله، وهي متضمنة أن إشراكهم وغيره وقف على مشيئة الله عز وجل."[4]

2- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ).

قال بعد تفسير قوله تعالى:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة:6]: " هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة."[5]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران:8]: " وهذه الآية حجة على المعتزلة في قولهم: إن الله لا يضل العباد. ولو لم تكن الإزاغة من قبله لما جاز أن يدعى في دفع ما لا يجوز عليه فعله."[6]

وقال بعد تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**

(1) الاعتصام، الشاطبي: (719/2).
(2) المحرر الوجيز، ابن عطية: (112/1).
(3) المصدر نفسه: (404/1).
(4) المصدر نفسه: (332/2).
(5) تفسير القرطبي: (149/1).
(6) المصدر نفسه: (20/4).

فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:22]: "وفي هذه الآيات رد على القدرية والمعتزلة والإمامية ومن كان على طريقهم، انظر إلى قول المتبوعين: ﴿**لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ**﴾ وقول إبليس: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ**﴾ كيف اعترفوا بالحق في صفات الله تعالى وهم في دركات النار، كما قال في موضع آخر:" ﴿**كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها**﴾ [الملك: 8] إلى قوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ [الملك: 11] واعترافهم في دركات لظى بالحق ليس بنافع، وإنما ينفع الاعتراف صاحبه في الدنيا، قال الله عز وجل:" ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة: 102]"[1]

وكل تنزيل على القدرية رد على المعتزلة فيما يخص نفي علم الله بما يستقبل، وكل رد على الخوارج رد على المعتزلة فيما يخص خلود مرتكب الكبيرة في النار.

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

لم أجد من مفسري المغرب العربي من نزل الآيات على المعتزلة سوى مكي بن أبي طالب القيسي في موضع واحد وهو قوله تحت قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعاً**﴾: " أي: لوفقهم إلى الإيمان بك يا محمد - وبما جئت به. ولكن قد سبق في قضائه من يؤمن، ومن لم يؤمن، وهذا كله رد على المعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان والكفر مفوضان إلى العبد، بل كل عامل قد علم الله عز وجل، ما هو عامل قبل خلقه له، ولا تقع المجازاة إلا على ذلك بعد ظهورهم منهم، وإقامة الحجج عليهم."[2]

ولعل عدم تنزيلهم يرجع إلى اكتفائهم بما نزلوه من آيات على الفرق الأخرى فيما يشتركون مع المعتزلة.

المطلب السادس: تنزيل النص القرآني على المرجئة.

قبل أن نعرض أقوال مفسري الغرب الإسلامي على هذه الفرقة يتحتم علينا التعريف بها وبأهم انحرافاتها حتى يتضح فيما بعد تطابق تنزيل الآيات عليها.

الفرع الأول: التعريف بالمرجئة وانقساماتها:

أولا: التعريف بالمرجئة: المرجئة اسم يطلق على الجماعة الذين يؤخرون العمل عن النية والعقد، ويقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.[3]

ثانيا: انقساماتها: قال القرطبي: "وانقسمت المرجئة اثنتي عشرة فرقة: التاركية قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به، فمن آمن به فليفعل ما شاء. والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه ليفعلوا ما شاءوا. والراجئة قالوا: لا يسمى الطائع

(1) المصدر السابق: (358/9).
(2) الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي ابن أبي طالب القيسي: (3330/5).
(3) الملل والنحل، الشهرستاني: (139/1).

طائعا ولا العاصي عاصيا، لأنا لا ندري ما له عند الله تعالى. والسالبية قالوا: الطاعة ليست من الإيمان. والبهيشية قالوا: الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر. والعملية قالوا: الإيمان عمل. والمنقوصية قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص. والمستثنية قالوا: الاستثناء من الإيمان. والمشبهة قالوا: بصر كبصر ويد كيد. والحشوية قالوا: حكم الأحاديث كلها واحد، فعندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. والظاهرية الذين نفوا القياس. والبدعية- أول من ابتدع هذه الأحداث في هذه الأمة."[1]

الفرع الثاني: تنزيل مفسري الأندلس.

1- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت542هـ).

قال رادا على المعتزلة والمرجئة بالآية التي ستأتي: "وتحكم بقولنا: هذه الآية النص في موضع النزاع، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾ فإنها جلت الشك وردت على الطائفتين، المرجئة والمعتزلة، وذلك أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ فصل مجمع عليه، وقوله: ﴿**وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ**﴾ فصل قاطع بالمعتزلة راد على قولهم ردا لا محيد عنه، ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام لصح قول المرجئة، فجاء قوله: ﴿**لِمَنْ يَشاءُ**﴾ رادا عليهم، موجبا أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن."[2]

وقال مبينا ضلالهم: "وقوله تعالى: ﴿**لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى**﴾ أي لا يَصْلاها صلي خلود، ومن هنا ضلت المرجئة لأنها أخذت نفي الصلي مطلقا في قليله وكثيره، والْأَشْقَى هنا، الكافر بدليل قوله الذي كذب."[3]

2- عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي (ت 597هـ).

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** ﴾ الآيات [المنافقون: 1- 8]: "وفي هذه الآية رد على غلاة المرجئة. قال بعض المفسرين: وهم الكرامية، في قولهم: إن مهر الشهادتين بلسانه يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك...؛ لأنه تعالى قد نفى الإيمان عن المنافقين بقوله تعالى: ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ [البقرة: 8]."[4]

وقال –واشترك في هذا مع ابن عطية-: "هذه الآية: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ** ﴾ [النساء: 48]، ردت على الطائفتين: المرجئة والمعتزلة، وذلك أن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** ﴾، فظل مجمع عليه. وقوله: ﴿ **وَيَغْفِرُ ما دُونَ**

---

(1) تفسير القرطبي: (164/4).
(2) المحرر الوجيز، ابن عطية: (64/2).
(3) المصدر نفسه: (492/5).
(4) أحكام القرآن، ابن الفرس الأندلسي، تحق: طه بن علي بو سريح، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1427هـ- 2006م: (40/1).

ذلِكَ﴾ فيه رد لقول المعتزلة بتخليد المذنب ولو تم الكلام ها هنا عند قوله: ﴿ما دون ذلك﴾ ردًا عليهم، مبينًا أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموا من أنه غفور لكل مؤمن."[1]

3- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ).

قال ناقلا قول الإمام مالك ومحمد ابن إسحاق تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143]: "وقال مالك: إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان. وقال محمد بن إسحاق:﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أي بالتوجه إلى القبلة وتصديقكم لنبيكم."[2]

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص:28]: "ثم وبخهم فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ والميم صلة تقديره، أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، فكان في هذا رد على المرجئة، لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد كالصالح أو أرفع درجة منه." [3]

وقال ناقلا قول الزجاج: "وسمعت سلم بن الحسن يقول: سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر، لقوله جل ثناؤه: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ وليس الأمر كما ظنوا، هذه نار موصوفة بعينها، لا يصلى هذه النار إلا الذي كذب وتولى، ولأهل النار منازل، فمنها إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، والله سبحانه كل ما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز أن يعذب به. وقال جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ [النساء: 48]، فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب، لم يكن في قوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة، وكان ويغفر ما دون ذلك كلاما لا معنى له."[4]

الفرع الثالث: تنزيل مفسري المغرب العربي.

1- مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت437هـ).

نقل قول أشهب في تنزيل الآية على المرجئة فقال تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143]: "وقال أشهب: وإني لأذكر بهذه

(1) المصدر نفسه: (216/2).
(2) تفسير القرطبي: (158/2).
(3) المصدر نفسه: (191/15).
(4) المصدر نفسه: (87/20).

الآية الرد على المرجئة وعلى أن الإيمان في هذه الآية يراد به الصلاة نحو بيت المقدس."[1]

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[النور:2]: "وهذا يدل على أن إقامة حدود الله من الإيمان بخلاف ما تدعيه المرجئة من أن الإيمان قول بلا عمل."[2]

وقال عند قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة:5]: " وهذا نص واضح على أن الإيمان قول وعمل بخلاف ما قاله المرجئة أن الإيمان قول لا غير، وقد قال تعالى: " ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإسلام**﴾ [آل عمران: 19] "، وبين هاهنا أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإخلاص العمل لله هو الدين المستقيم العادل."[3]

2- عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت 875هـ).

قال تحت قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ** ﴾ [النساء: 48] مبينا قول أهل السنة ورادا على المرجئة: "وقال أَهْلُ السُّنَّة: هو في المشيئة، وهذه الآيةُ هي الحاكِمَةُ، وهي النصُّ في مَوْضِعِ النِّزاعِ، وذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** ﴾ فصْلٌ مجمعٌ عليه، وقوله: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ**﴾ فَصْلٌ قاطع للمعتزلة، رادٌّ على قولهم ردًّا لا محيدَ لهم عنه، ولو وقَفْنَا في هذا الموضع مِنَ الكلامِ، لَصَحَّ قولُ المرجئَةِ، فجاء قوله:﴿ **لِمَنْ يَشاءُ**﴾، ردًّا عليهم مبيناً أنَّ غفران مَا دُونَ الشِّرْك إنما هو لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ بخلاف ما زَعَمُوه مِنْ أنه مغفورٌ لكلّ مؤمنٍ."[4]

وقال: "وقوله سبحانه: ﴿**لاَ يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى**﴾ المعنى: لا يصْلاَها صَلْيَ خُلُودٍ، ومن هنا ضَلَّتْ المُرْجِئَةُ لأنها أخَذَتْ نَفْيَ الصَّلْيِ مُطْلَقاً"[5].

3- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ).

قال تحت قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة:143]: "وإن فسر الإيمان بالصلاة كان التقدير ما كان الله ليضيع فضل صلاتكم أو ثوابها، وفي إطلاق اسم الإيمان على الصلاة تنويه بالصلاة لأنها أعظم أركان الإيمان، وعن مالك: «إني لأذكر بهذا قول المرجئة الصلاة ليست من الإيمان»"[6]

وقال: "وجملة ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ [الزمر:53] جميعا تعليل للنهي عن اليأس

---

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب: (487/1)
(2) المصدر السابق: (5017/8).
(3) المصدر نفسه: (8385/8).
(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: (247/2).
(5) المصدر نفسه: (600/5).
(6) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: (25/2).

من رحمة الله. ومادة الغفر ترجع إلى الستر، وهو يقتضي وجود المستور واحتياجه للستر فدل يغفر الذنوب على أن الذنوب ثابتة، أي المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها، أي يزيل المؤاخذة بها، وهذه المغفرة تقتضي أسبابا أجملت هنا وفصلت في دلائل أخرى من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾ [طه: 82]، وتلك الدلائل يجمعها أن للغفران أسبابا تطرأ على المذنب ولولا ذلك لكانت المؤاخذة بالذنوب عبثا ينزه عنه الحكيم تعالى، كيف وقد سماها ذنوبا وتوعد عليها فكان قوله: إن الله يغفر الذنوب دعوة إلى تطلب أسباب هذه المغفرة فإذا طلبها المذنب عرف تفصيلها ... وجملة إنه هو الغفور الرحيم تعليل لجملة يغفر الذنوب جميعا أي لا يعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعها من الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة. فبطل بهذه الآية قول المرجئة أنه لا يضر مع الإيمان شيء." [1]

هذا آخر البحث، وأحسب أني لم آت بكل المفسرين ولا كل الأقوال وإنما اكتفيت بما يكفي أمثلة للقائلين وأقوالهم في تنزيل النص القرآني على الفرق.

خاتمة

في ختام هذا الموضوع نعرض النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج:

- تنزيل النص القرآني على الفرق اهتم به المفسرون المغاربة على مر التاريخ الإسلامي.
- التنزيل تارة يكون بالتصريح بالرد وبيان وجه الرد على الفرقة بعد بيان معنى الآية، وتارة يكون بالرد فقط لوضوح معنى الرد، وتارة يكون بالتصريح بالتنزيل.
- في تنزيل النص القرآني على كل فرقة تحذير من هذه الفرقة، وبيان بطلانها.

التوصيات:

- مواصلة عقد مثل هذا الملتقى المبارك خاصة ونحن في زمن كثرت فيه الفتن، والتبس الحق بالباطل لدى فئات كثيرة من المسلمين.
- العمل على إدراج مقياس: تنزيل النص القرآني على الواقع.
- تعميم البحث في بيان تنزيل مفسري المشرق الإسلامي النص القرآني على الفرق.

وفي الختام:

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتكلل هذا الملتقى بالنجاح، وأن يوفق القائمين عليه والمشاركين فيه إلى التوفيق والسداد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) المصدر السابق: (24/ 42).